الإعـلام والعنـف الشبابي.. مشـتركات ومفترقات

د.سهام الشجيري

مما تقدم يمكن القول إن كثيرا من أحكامنا النفسية والاجتماعية تؤكد الصلة الوثقى بين السلوك الجمعي ومنظومة القيم، فالسلوك الجمعي للمجتمع العراقي في أربعينيات القرن الماضي وحتى القرن الحالي تعكس ظواهر سلوكية يدخل بعضها ضمن المفهوم الذي يقول: كونها ظواهر مجتمعية تدخل ضمن طائلة التغيير الطبيعي في نسيج المجتمع الذي يتعرض لتغييرات زمانية ومكانية تفرضها محددات التطور المتأثرة بمحدوداتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية والدينية، أما التغيير الثاني فهو ربما انعكاس لأنماط سلوكية، أسبابها:-

١-حروب
٢- تغيير أنماط الحكم
٣- شيوع أيديولوجيات وثقافات معينة
٤- التغيير في أنماط الاستهلاك
٥- التغييرات المجتمعية مثل تغيير الثقافات وفلسفات التربية والتعليم ٦- التطورات التقنية المتسارعة، وشخصنة غاياتها.

يبدو من نافلة القول إن تكامل شخصية الأفراد(الشباب) في المجتمع إنما هو انعكاس لتكامل حضارة مجتمعهم وان خلل الصحة النفسية والعقلية للناس يتحدد بدرجة اختلال التكامل المجتمعي، لذلك فان العنف كظاهرة هي ليست حكرا بمجتمع دون آخر إنما هي انعكاس لحالة الاختلال التي تحدث بين الشاب ومجموعة المحددات التي تساهم في تكامل مجتمعه، والتي يمكن حصرها في المحددات الآتية:

داخلية منها البيت الذي يساهم في تكوين ثقافة وتربية وأنماط سلوك الفرد.المجتمع الذي يعكس بثقافته وأنماطه الاجتماعية عنصر مؤثر في تكوين الفرد.

البيئة التربوية (مدرسة، جامعة، أو جامع) والتي تساهم وفق فلسفاتها وعقائدها وثقافتها في تكوين ثقافة المجتمع. عوامل خارجية يمكن أن تساهم في تغيير الأنماط السلوكية للفرد - وسائل إعلام (سمعية، مرئية، مقروءة) ووسائل الاتصال (الموبايل، الانترنت، القنوات التفاعلية، ووسائل تكنولوجية أخرى متاحة) .إن ظاهرة العنف في وسائل الإعلام تصطدم بآليتين هما:-

إن وسائل الإعلام ساهمت في تقديم برامجيات وأفكار واختبارات ساهمت بدورها في دراسة ظاهرة العنف في مجتمعنا وفي تحديد مرجعياتها ومسبباتها وفي محاسبة الذين يقفون خلفها وفي تحديد دوافع العنف المجتمعية والفردية والجنائية.

إن وسائل الإعلام والاتصال والتكنولوجيا الحديثة ساهمت من خلال حجم الرسائل الإعلامية الهائل في الترويج للعنف والجريمة من خلال مئات الفضائيات التي تصدر آلاف الرسائل تحض على العنف وتروج له وتحتفي بالبطل العنيف وتعرف الشاب على أنماط سلوكية جديدة على مجتمعنا، إذ وجد العنف ضالته في التحريض من ارض خصبة، مقدماتها الاختلاف في العقيدة الدينية إلى الموقف الشرعي إلى الدولة.

إن ازدياد نسبة العنف لدى الشباب يعود إلى الخوف من المستقبل، إذ إن الخوف لدى الشباب قد انتج عنفا ربما غريبا على مجتمعنا وسببه شعور الشاب بالعجز من إيجاد موقع له ضمن خارطة مجتمعه وترك صورة ذهنية في نفسه أرهقت أعصابه وأخرت في أهدافه التي هي (الحب، الزواج، الأمن، الاستقرار، متطلبات حياتية أخرى).

وهذا الأمر هو الذي جعل العالم النفسي جيسيل يقول (إن الخوف واليأس نقيضان ولكن كليهما ضروري لنمو الشخصية، وان نمو اليأس نموا تاما كاملا يتوقف على تجربة التعلم على الخوف أو التغلب عليه)، سيكون عنفا للشباب من مظاهر عديدة، إذ إن الإعلام من الممكن أن يعيد رسم أهداف الشباب من خلال تقديم خطاب:- يقدم فكرة المواطنة الجامعة على فكرة الأعراق والأطياف. يكرس صورة لأنماط سلوكية سوية وليس منحرفة، خطاب يقول إن الخير هو القاعدة والشر هو الاستثناء وليس العكس.خطاب إعلامي يتجنب صورة القتل والدم والجدل الطارئ ويؤكد أن السلم الأهلي هو القاعدة. يقدم شبابا وهم يعضون زملاءهم ويواجهون مشاكلهم بعزم ونماذج تواجه الحياة بالكفاف والاستعداد للبذل.

أما العنف في المجتمع العراقي فله مبررات واقعية ،إذ ينبغي ألا ننسى أن الإنسان بوجه عام إذا فشل في أمر فهو لا يحب أن يعزو فشله إلى نفسه بل يميل عادة إلى البحث عن سبب خارجي ليعزو إليه الفشل، ووفقا لهذا التصور فإن الميل للعنف أسبابه عديدة:-

سببه سياسي:

يذكر علي الوردي إن الشعب العراقي هو من أول شعوب العالم إن لم يكن أكثرها ميلا للعنف، إذ إن العراق كان ارض الصراعات والنزاعات ولم يكن للشعب العراقي سبب فيها بل كانت أدواتها (جغرافية، بشر، ثروات، العرب والفرس، المظلوميات التاريخية لرموز دينية، استعمار دول، الصراع بين العثمانيين والصفويين، الصراع على السلطة، تدخل وأطماع دول الجوار)، وهذا الفشل السياسي ألقى بظلاله على تراث هذا الشعب، والدولة وفلسفة التربية والتعليم والثقافة والحضارة الموغلة بالقدم، إذ لم يكن لنا استراتيجية في ضبط هذا الانفعال بل استغلتها لتظهر على هيئة انقلابات، ثورات، تمردات، تظاهرات، مؤامرات، ولم تساهم في عملية التنفيس عن الدوافع النفسية والاجتماعية والجسدية.

العنف بسبب الدوافع الاقتصادية:

إن التدهور الكبير في اقتصاد العائلة والمجتمع كرس بنيات مجتمعية تصدّر أشخاصا (شباب فاشلين) بسبب:

بطالة أكثر من ٢٥٪ بحسب تقارير رسمية.

عنوسة وعزوف عن الزواج (وهناك أكثر من مليون من الشابات الأرامل وأكثر من مليون يتيم) ، مما يؤدي إلى تدهور في نسيج مجتمع بسبب الحروب وتدني دخل الفرد ،وهذه العوامل وفّرت بيئات تصدّر أشخاصا متحفزين للعنف.

والسبب الثالث هو الفجوة لدى الشباب المترف الذي بدأ يمتلك ثروات مختلفة من سيارات فارهة، بيوت، قصور، سفر (مجموعة من الحواسم والمختلسين والمزورين)، أوجد نماذج ورموزاً لشباب استطاع أن يحصل على هذه الثروة بأدائه في المنطقة الحرام فصار هؤلاء نماذج يقتدي بها الشباب، وقد غذى هذا السلوك شيوع فكرة (السبع، وأخو خيته) من يغتنم الفرص كثقافة.

غياب دور المؤسسات التعليمية والثقافية، والذي عطل بسبب شيوع ثقافة العشيرة مقابل ثقافة المدينة، وثقافة القوة مقابل ثقافة الوعي، وثقافة الطائفة مقابل ثقافة المواطنة.

ضعف الخطاب الإعلامي الموجّه (إعلام يلاحظ عليه انه جعل الناس يقسّمون إلى قسمين، ظالم ومظلوم، أكثرية وأقلية، وأكثرية عاطلة فقيرة مقابل قلة مترفة)، وترسيخ خطاب ديماغوجي مقابل خطاب طائفي.

إننا يمكن أن نقول إن الخطاب الإعلامي الموجه جعل الناس تنقسم إلى قسمين أو معسكرين متنازعين، فما كان من الشباب إلا أن ينحازوا إلى الرمز الغوغائي الطائفي الإقصائي الذي ربما هو الذي يحميه وليس غيره ،وأغلب الظن إن الخطاب الإعلامي قدم نزعة جدلية ورثها أهل العراق من أسلافهم، فيما يحتاج الشباب إلى خطاب يدعو إلى فقه التسامح لا التفرقة ويكرس الرموز العالية التي تقول إن مصطفى جواد، طه باقر، فيصل السامر، فائق حسن، جواد سليم، محمد غني حكمت، فيصل حسون، إبراهيم جلال، يوسف العاني، نزيهة الدليمي، فاطمة الربيعي، أمينة الرحال، عبد الكريم قاسم، بدر شاكر السياب، محمد مهدي الجواهري، هم عراقيون وليسوا مكونات.

إن الإعلام الذي يؤكد أن الشباب هم الطاقة الكامنة في بناء مجتمع متصالح وحقيقي هو المجتمع الذي يستحق البقاء.

اللهم هل بلغت .. اللهم فاشهد.

القيم هي جوهر الحضارة البشرية وخلاصة الشخصية الإنسانية، ومجموع هذه القيم يمثل قمة الارتقاء الذي بلغه الإنسان في تطوره الحضاري والذي يميزه عن جميع الفصائل الأخرى، إذ ركز البعض على أهمية أن تحظى منظومة القيم والممارسات السائدة في المجتمع بدورها الفعال والملموس.

العراق في عيون الآخرين

وسام يوسف

تتسابق البلدان وتضع الميزانيات اللازمة بغية أن يحترمها الآخرون لتحافظ على صورة لامعة في أذهان الناس سواء كانوا في الداخل أم في الخارج، والمهرجانات والمسابقات ورعاية الآداب والفنون خير شاهد على ما نقوله، فإن هذه الدول وخاصة الأوروبية منها، وبعد خروج أغلبها من حروب ومخاضات عسيرة أيقنت أن شعار السلام هو في رعاية أصحاب العقول، والكفاءات من علماء وفنانين ورياضيين، بل أبعد من ذلك في دعم كل ما يخطر على البال وما لا يخطر أيضاً، بمعنى أنها لا تدخر جهداً إلا وأنفقته من أجل هدف واحد هو تحسين صورتها في عيون الرأي العام المحلي والإقليمي والعالمي أيضاً. أما نحن فإن المسألة معكوسة، فثمة إخفاقات كأنها ممنهجة في عرض أو تسويق في قضايانا في عيون الآخرين، ولعل وسائل إعلامنا تتحمل العبء الكبير في هذا المجال، تحاول بعض وسائل إعلامنا أن تكون مهنية وتسعى إلى خلق فضاء شعوري بل والتأسيس إلى إعلام حر يتصف بشروط النجاح وتأكيد الذات العراقية، إلاّ أن الحقيقة هي عكس ذلك، ففي خضم هذا الكرنفال من الفضائيات نادراً ما تجد برنامجاً هادفاً يتصف بالمهنية في عرض الحقائق والالتزام بالحيادية والموضوعية، فإن أغلب العاملين في تلك الفضائيات ووسائل الإعلام الأخرى مصابون بداء نرجسية كاذبة أو حالة من نزعة طائفية حقيقية، بمعنى أن بعضهم يعرف متى يبتسم ويتهلل وجهه ومتى يتجهم وهو يظهر جرماً عما يقوله الضيف أو حين يبث خبراً أو تقريراً عن قرية أو قصبة نائية تقع في الجنوب أو في أقصى الشمال، لذلك نعتقد أننا بحاجة إلى إعادة صياغة خطابنا الإعلامي سواء كان خطاباً مرئياً أو مسموعاً أو مقروءاً، وهذا لا يتم إلا من خلال فتح معاهد للتدريب المهني والتطوير بالإضافة إلى دورات مكثفة يقع على عاتقها التأسيس لإعلام قادر على مجاراة تلك السياسات الإعلامية في دول المنطقة على أقل تقدير. ونعتقد أيضاً بأن ذلك ليس بالعسير إذا ما جعلنا من الدستور نظاماً قانونياً فعالاً ومحترماً من الجميع سواء من كانوا تحت القانون أو فوق القانون، ومن هنا تبدأ البداية في التسويق إلى سياسات تتصف بالديمقراطية واحترام الذات والقانون وخلق فضاء شعوري محلي وإقليمي يؤكد هوية العراق وإمكاناته الهائلة. فبعد ذلك الانهيار الدراماتيكي الذي عاناه العراق وبعد جملة من حروب وحرمان وإقصاء نفسي ومعنوي متمثل بسنوات الحصار العجاف، قد تم فيها الإجهاز على أحلام العراقي والدوس على مقدرات معيشته وجعل منه إنساناً غير مكترث ،فاقد الثقة بالسياسة، وللأسف نقول ما أشبه الليلة بالبارحة، ونحن نلحظ اتساع الهوة بين المواطن والسياسي وتراجع الثقة بشكل ظاهر يستحق التوقف والدراسة، فقد غادر من غادر ورحل من رحل سواء إلى بلدان أخرى أم إلى الملأ الأعلى، تاركين فراغاً كبيراً من الصعب تداركه على الرغم من بعض الادعاءات التي تؤكد أن العراق مليء بأصحاب الكفاءات والخبرات إلا أن سياسة الإقصاء المتبرقعة بثوب الطائفية أبعدت الكثير من أولئك، بل أجهزت على مطامحها في بناء العراق وخلق مشاركة عادلة تجعل من العراق بلدا يهابه أعداؤه، فمن واجب الحكومة أن تعمل على استدعاء الكفاءات العراقية المثقفة في شتى الاختصاصات وتوفير بيئة صحية تمنحهم المزيد من القدرة على العطاء والإبداع، بمعنى أن علينا البناء من الداخل قبل إجراء أي تسويق إعلامي لقضايانا، وهذا لا يتم إلا بدعم ثقافة الانتماء إلى بلد ضارب بجذوره إلى ستة آلاف سنة قبل الميلاد.

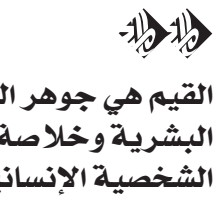

جسر

■ د. سعد بن طفلة العجمي
saad@alaan.cc

مايجمعنا

كثيرة هي العوامل التي تجمع الكويتيين والعراقيين، فما يجمعنا كشعبين عربيين وجارين أكثر مما يفرقنا. صحيح أن السياسة والحروب تركت ندبات في نفوسنا، لكن الأصح أن شعوبا مرت بتجارب دامية تجاوزتها بعقلية براغماتية وعملية وواقعية.

عندما غزا صدام الكويت عام ١٩٩٠ واحتلها ومسحها من الخارطة السياسية، ما كان للكويت وأهلها قدرة على دحره وطرده دون مساعدة دولية، وهو ما كان. فقد أجمع العالم على دحر العدوان لأسباب مختلفة، وكان الجيش الأمريكي الأداة الضاربة التي طردت صدام من الكويت في مئة ساعة. لكن لولا الإجماع الدولي، والمناصرة الدولية للكويت، لبقيت محتلة حتى اليوم.

الاستعانة الكويتية بالمجتمع الدولي واجهت هجوما من مؤيدي صدام في حينها من "العربجية" و"القومجية" الذين كالوا السباب للكويتيين "الجبناء" الذين لم يستطيعوا تحرير بلادهم بأنفسهم، فجاءت المجندات الأمريكيات لتحريرهم. . الخ اسطوانة "العنطزة" و"الفنطزة" والمزايدة.

ثار الشعب العراقي بعد تحرير الكويت، فكانت مجازر يشيب لها الولدان، وسحق صدام وقواته شعبه بوحشية يخجل منها طغاة التاريخ. إلى أن دارت الأيام، وغزت الولايات المتحدة الأمريكية العراق عام ٢٠٠٣ انطلاقا من الكويت التي كانت الدولة الوحيدة التي سمح شعبها وحكومتها للولايات المتحدة بتخليص الشعب العراقي من طاغيته، فتعرض العراقيون لنفس ما تعرض له الكويتيون من "تخوين" واتهامات بالعمالة للأجنبي الغربي الخ. وكأن هؤلاء يقولون: "دعوا صدام يعمل فيكم القتل، فالاستعانة بالأجنبي خيانة للتخلص من القهر والظلم"!! وهي استعانة جمعت الكويتيين والعراقيين ضمن عوامل كثيرة تجمعهم.

ودارت الأيام، فتحولت ليبيا إلى مزرعة للقذافي وعياله، وسوريا إلى شركة مقفلة للأسد وأسرته، وعمل النظامان على تحويل كل مقدرات ليبيا وسوريا لحماية النظام، وعملا على ترويع البشر وحكمهم بالحديد والنار والمخابرات والقهر. فثاروا بشكل سلمي في بنغازي، وكانت أول ردة فعل القذافي "صدّامية" بامتياز: مضاد طائرات عيار ٥٠، والمدفعية وطائرات الميغ لقمع شعبه. فاستنجد الليبيون بالمجتمع الدولي، فتنادى لهم الناتو وخلصهم من طاغيتهم. ومازال النظام السوري يسحق شعبه بلا هوادة، فقد اختطفهم وعمل على قتلهم وترويعهم منذ أن خرجوا مطالبين بالحرية والكرامة. وبدأت أصوات سوريّة تطالب المجتمع الدولي بالتدخل لحماية المدنيين. ومن بين تلك الأصوات أصوات أعرفها شخصيا، قالت في الكويتيين والعراقيين من نعوت التخوين والعمالة والجبن ما لا تستوعبه مقالة.

ليس ما أكتبه هنا من باب التشفي أو الشماتة- حاشا لله- لكنه تذكير بما وصل به حالنا من حكم أنظمة خارج التاريخ، ومن عقلية بطش خارج العصر لا يمكن لشعوب عزّل أن تتقي شرها وتسقطها دون مساعدة خارجية. كان الكويتيون ومن بعدهم العراقيون أول من استنجد بالعالم لتخليصه من البطش والطغيان، فكان ذلك عاملاً مشتركاً يضاف لما بينهما من عوامل ووشائج تجمعهما.

كاريكاتير

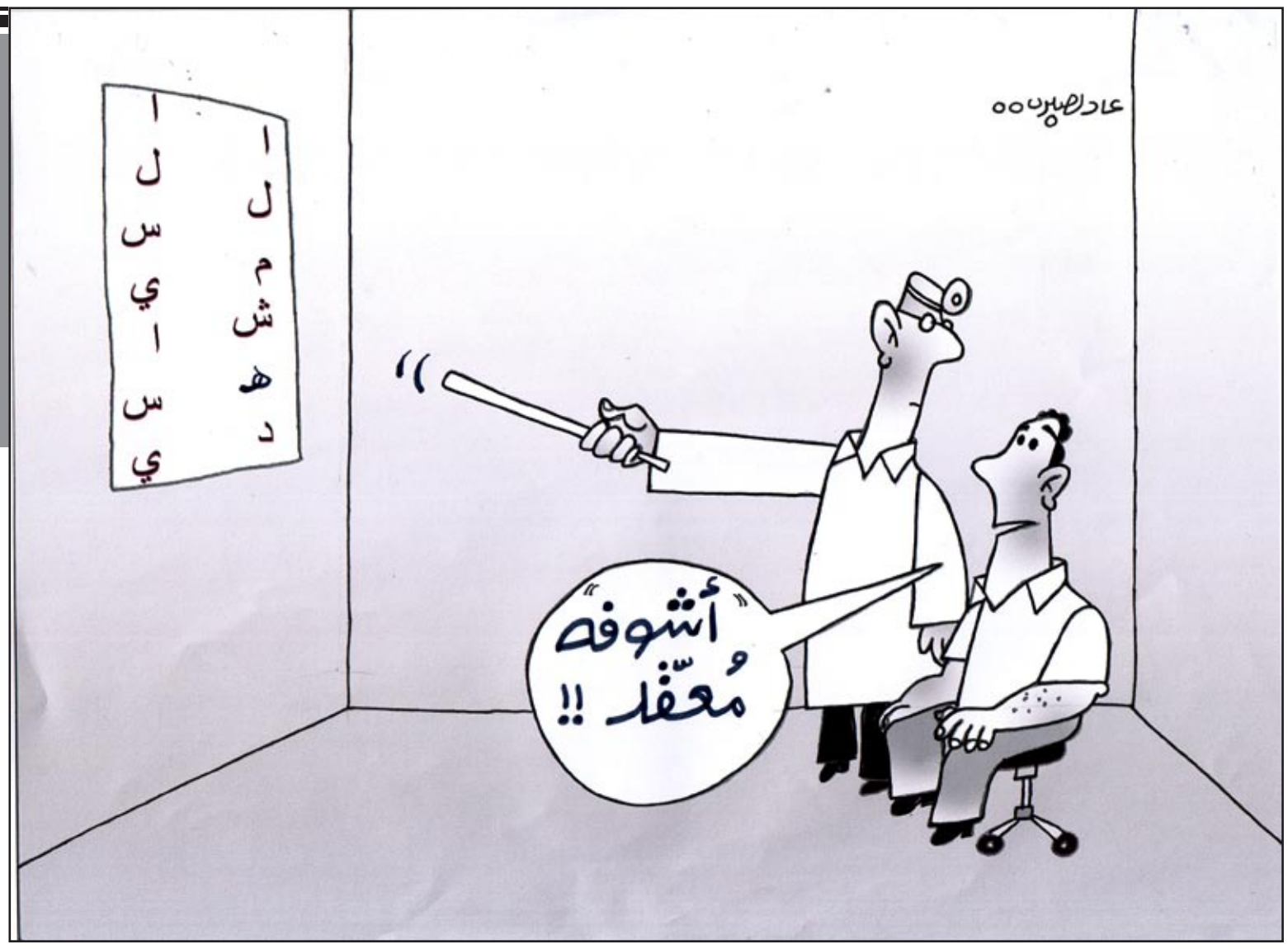

■ عادل صبري

اليوم العالمي للّاعنف.. تحطيم جدران الكراهية

حسين علي الحمداني

الثاني من تشرين الأول ،اليوم العالمي للّاعنف والذي اختارته الأمم المتحدة بالتزامن مع ميلاد الزعيم الهندي المهاتما غاندي، الذي كان أحد الأصوات الرائدة التي رأت أن نبذ العنف هو أعظم قوة في متناول البشرية ويمكن من خلال هذه الفلسفة أن ننال حقوقنا ونجبر الآخرين على احترامنا.

وغاندي من الرجال القلائل في العالم الذين تمكنوا من تحرير بلدانهم وشعوبهم من التبعية وأن يقود الهند لأن تكون من الديمقراطيات العريقة رغم التنوع الكبير في المجتمع الهندي سواء أكان عرقيا أو قوميا عبر فلسفته التي باتت تعرف (بالمقاومة السلمية).

ومصطلح اللاعنف جزء أساسي من فلسفة غاندي السياسية، وهو الذي جعله رمزاً عالمياً، يتجاوز حدود الهند لتكون فلسفة عالمية يستقي منها أكبر دروس الإنسانية في التسامح.

وتتخذ سياسة اللاعنف في نظر غاندي عدة أساليب لتحقيق أغراضها، منها :الصيام والمقاطعة والاعتصام والعصيان المدني والقبول بالسجن لأنه كان يؤمن بأن اللاّعنف يقوّض جدران الكراهية ويمدّ جسور السلام والمحبة.

ولم تكن أفكار المهاتما غاندى وفلسفته مصدر إلهام لحركة الحرية في الهند وحدها، و لكن للحركات التي انطلقت من أجل الحصول على الحقوق المدنية والحرية في جميع أنحاء العالم. ويعرف غاندى في جميع أنحاء العالم بلقب المهاتما وهي كلمة تعني بلغة الهندي "الروح العظيمة".

ولنا في نيلسون مانديلا الذي تحدى بطش الحكم العنصري في بريتوريا، متحاملا على نفسه ومحتملا سنين الاضطهاد والسجن ومصادرة حقوقه، في سبيل تحقيق أمنية أبناء بلده في تحقيق نظام عادل ونبذ العنف بشتى أنواعه وهذا ما مهد لمصالحة كبيرة جداً في جنوب أفريقيا باتت إنموذجاً يحتذى به في العالم وتُدرس مفاهيمه في ورش العمل لمنظمات المجتمع المدني . والعنف أحياناً كثيرة نتصوره في حالة الإيذاء الجسدي الذي يتعرض له الإنسان ،وهذا سائد في الكثير من الأدبيات لا سيما في عالمنا العربي الذي لا يرى سوى من صور العنف إلا ما يؤدي لعاهة وعاقة وموت، لكن العنف الحقيقي يكمن في جانب مهم منه في جوانبه النفسية والاجتماعية والاقتصادية،خاصة ما يتعلق منه بالحرمان من فرص التعليم والرعاية الصحية للكثير من الناس مما ينجم عنه فوارق طبقية كبيرة تنعكس على مستوى المعيشة والبناء الثقافي للمجتمع وتركيبته ،و يولد مشكلات كثيرة وظواهر خطيرة في المجتمع .

وعندما تختار الأمم المتحدة يوم الثاني من تشرين الأول يوم اللاعنف فإنها تسعى لتحقيق المبادئ السامية لحقوق الإنسان وذلك من خلال تعزيز هذه المفاهيم والسعي لحل النزاعات بالوسائل السلمية،والقضاء على العنف ضد المرأة، وبناء الجسور بين الثقافات ومكافحة الكراهية والتطرف والتمييز في كل مكان.

وبالتأكيد فإن تحقيق ذلك لن يتم إلا بتعاون الحكومات مع منظمات المجتمع المدني بغية تجاوز الكثير من العقبات التي تحول دون تحقيق الأمن والسلم في المجتمع.

وذلك من خلال نشر ثقافة اللاعنف وتعزيز مبادئها وقيمها، والتعريف بالعهود والمواثيق الدولية ذات الصلة وإبراز التعاليم السماوية بهذا الخصوص و تشجيع سياسة التسامح بين الأفراد والمساهمة بالدفاع عن حقوق الإنسان وحرياته المصونة.

ونحن في العراق أشد ما نحتاجه اليوم هو نبذ العنف بكل أشكاله ومسمياته والجنوح نحو اللاعنف وتفعيل المصالحة المجتمعية القائمة على أسس صحيحة وسليمة بعيداً عن التخندقات التي تكون عقبة كبيرة أمام فهم الآخر وتؤدي بالتالي لممارسة شتى أنواع العنف ضد الآخر الذي يكون رد فعله أيضاً مزيداً من العنف .